# القوة الغضبية والخروج عن «حد الاعتدال»

**القوة الغضبية في حد ذاتها ليست عيبا يعاب عليه الانسان وانما تكون عيبا اذا استغلت لغير وجه الله سبحانه وتعالى ، كما أنها تكون نقصا في خلقة الانسان لو نقصت عن الحد اللازم أو انعدمت ، فالانسان الذى تنقص عنده القوة الغضبية أو تنعدم .. هذا الانسان لا تكون له حمية على فيفقد الغيرة على الحريم ولا يأبى الذل ولا يأنف الصغار ولا يتنزه عن الاقذار ، وكذلك تكون عيبا لو خرجت عن حد الاعتدال بحيث يندفع معها ويتركها تسيطر على عقله وتسيطر على دينه فتجره إلى مساوىء الاخلاق وتجره الى مساوىء الاعمال فهى اذن عيب في حالتى الافراط والتفريط لا في حالة الاعتدال وهذا أمر قد أسهبنا في الكلام عنه فيما سبق .**

المهم هنا أن القوة الغضبية في العادة لا يمكن تحصيل الاعتدال فيها بالضبط لانه كما يقول العلماء أن حد الاعتدال أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وكيف للانسان ان يوازن ما يكون بمقياس «شعرة» أو ما يكون بمقياس حد «السيف» .. ولكن على الانسان دائما أن يطلب فيها القرب من الاعتدال فان الاعتدال الحقيقى مما لا سبيل الى تحقيقه والتوصل إليه خاصة لسائر الناس .

الانبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام بامكانهم ذلك لكن سائر الناس لا يمكنهم معرفة الحد الحقيقي في الاعتدال بين الافراط والتفريط ولذلك فهم اما أن يزيدوا عن حد الاعتدال ، واما أن ينقصوا عنه ولكن الزيادة عليه بدرجات بسيطة أو النقص عنه بدرجات بسيطة قد لا تؤثر على سلوك الانسان ولا تظهر .

أما الزيادة والنقصان بدرجات بعيدة عن حد الاعتدال قد نسميها خورا أو تهورا .. فاذن المقصود هنا أن يجهد الانسان في أن يصل الى حد مقارب من حد الاعتدال ويكون ذلك في حقه اعتدالا .. وهذا لا يكون شيئا اعتباطيا وانما يكون بالتعود والتخلق والتطبع وبعد ذلك تحصل له تلك الملكة .

ما هى الآثار التى تولدها زيادة القوة الغضبية ؟

- لا أظن أن أحدا لم يشاهد غيره وهو في حالة غضب وان كان كلنا لم يشاهد نفسه وهو في حالة غضب لكن ما من أحد منا الا وشاهد آخرين وهم في حالة غضب حيث تحمر الاحداق وتتبدل الوجوه وتزبد الأفواه ويضطرب الكلام وتختلج الاعضاء وترتعد وتميل النفس من حالة التعقل إلى حالة الجنون ولا شك أن هذه الحالة الجسمانية لو رآها الغاضب - لو رأى نفسه وهو في تلك الحالة ، وهو في تلك الصورة لخجل من نفسه انه كيف سمح بان يحول خلقته الجميلة إلى هذه الخلقة بارادته وان كان بعض الناس يفخر بها ، وفخره بها قد يجر غيره الى ذلك بان يقول : اما انا فلا أحتمل كلمة من غيرى ولا أرضى أن أسمع ما يسىء لي وهو بعبارة اخرى يقول اما انا فلا عقل لى ، ولكنه يصف القبح بشىء ظاهره الحسن فيجر غيره الى مساوىء الاخلاق !

واذا كانت هذه الصورة الجسمانية الظاهرة فما بالك بالآثار النفسية التى تخلفها القوة الغضبية ؟ لا شك أنها تكون أشد قبحا !

لماذا ؟

لأن النفس تمتلىء على الطرف الذى يتعلق به الغضب وتكون في حالة هيجان مرير ويتوجه القصد كله الى الانتقام من ذلك الشخص الذى تعلقت به القوة الغضبية .. فالقوة الغضبية في العادة هى التى تثير الحسد وتثير الشماتة وتثير السخرية والاستهزاء وتثير غيرها من مساوىء الاخلاق ، وهذه الاسباب أيضا تثيرها .. يعنى كالنار يوقد بعضها بعضا كما ان القوة الغضبية تثير الحسد .. فالحسد أيضا يثير القوة الغضبية .. وكما ان القوة الغضبية اذا تعلقت بشخص آخر تجعل هذا الذى ثارت به القوة الغضبية يستهزىء ويسخر ممن تعلق به الغضب .. كذلك هذه السخرية ، وهذا الاستهزاء يثير ذلك الشخص أو يثير القوة الغضبية عند ذلك الشخص .. فكما أنها نتيجة من نتائجها ، هى أيضا سبب من أسبابها تماما .. القوة الغضبية من النار - من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة - وهى فعلا تتعلق بالأفئدة .. تتعلق بهذه النموط الصغيرة فتحركها وتخرج بها عن الحد الذى أراده الله سبحانه وتعالى لها .. ولا شك أن من يسخر من انسان انما يثير غضب ذلك الانسان ومن يستهزىء بانسان انما يثير غضب ذلك الانسان .. فاذن القوة الغضبية لها آثار سيئة ليس على الجسم فقط وانما حتى على النفس وعلى العقل .. ولذلك نجد أن القوة الغضبية اذا ثارت عند بعض الأشخاص ولم يتمكن صاحبها من اللحاق بمن تعلقت به والانتقام منه فانه يعود على نفسه قد يضرب نفسه .. قد يحطم أثاثه .. قد يحطم الأبواب والنوافذ ويمزق الثياب وغير ذلك بحيث يعود مجنونا ،، قد يتحدث مع آنيته ويغضب عليها ويخاطبها قائلا : إلى متى أنت تعصين ؟ ويكسرها .. وكأنه يخاطب انسانا عاقلا !! .. ولقد رأيت شخصا يصعد بآنية الطبخ الى أعلى طابق في المدرسة التى كنا نسكن فيها ويرميها إلى أسفل غاضبا ويقول : «كل يوم تعاندين ؟!» .. وعلى أية حال ان القوة الغضبية اذا خرجت عن حد الاعتدال تعود بصاحبها مجنونا تجره إلى حافة الجنون ..

هذه تصرفات ظاهرية .. هذا الانسان لو رأى حالته النفسية في تلك الحالة وفي ذلك الموقف لخجل من أن ينسب إلى تلك الحالة .. طبعا بعد أن يزول عنه الغضب لا يرضى أن تنسبه إلى الحالة التى هو فيها .. تقول له : فلان أنت تهذى في

الدرس
الرابع عشر
لفضيلة الشيخ
سليمان المدني

# الاعتدال الحقيقي لا سبيل الى تحقيقه والتوصل اليه خاصة لسائر الناس !!

كلامك .. أنت تتكلم مع الآنية .. أنت تتكلم مع الأبواب .. أنت تتشاجر مع الجدران والأشجار .. انه لا يرضى أن تقول له ذلك ، ويقول لك : هل أنا مجنون حتى أفعل هذه الأفعال ؟

لكنه في حالة هيجانه يفعل ذلك ولا يبالى .. كذلك للقوة الغضبية تأثيرات سيئة على الجسم . أيضا ليس فقط في السلوك الخارجي ، أو السلوك النفساني - طبعا لا شك أن خلايا الجسم تتأثر تأثرا كبيرا بهيجان القوة الغضبية - الدم يتأثر والعظام تتأثر .. الشعر يتأثر .. تجد أن بعض الأشخاص اذا ثارت به القوة الغضبية يزداد جسمه ضخامة بحيث تنفتق ثيابه ، كما يرد في بعض تحذيرات العرب «حتى انفتق إبطاه» .. انفتق ابطاه ، يعنى ليس جلدهما ، وانما القميص بشدة ما أصاب هذا الرجل من الغيظ انفتق قميصه أو درعه من الابطين لشدة غضبه !! لماذا ؟

لأن هناك تأثيرات حصلت على دمه وجسمه فجعلته يتمدد أكثر من حجمه الطبيعي ، وثيابه مفصلة على قياسه الطبيعي فيحصل الانفتاق .. ومحتمل حتى الفتوق في داخل الجسم ان تحصل بسبب القوة الغضبية «والله هو العالم بذلك» .. طبعا هذه الحالة التي تسمى الهيجان هي «التهور» وهي خروج بعيد جدا عن حد الاعتدال .. وعلماء الاخلاق يشاهدون أن لون الوجه يتغير من شخص الى شخص عند الغضب !

بعض الاشخاص اذا غضب يكون وجهه لونه أحمر .. بعضهم اذا غضب يكون وجهه أصفر .. بعضهم اذا غضب يكون وجهه مربد يميل ما بين الصفرة والحمرة والسواد .. لماذا لا يكون الاثر واحدا لقوة واحدة ؟

ولذلك حاولوا أن يحللوا هذه الظاهرة فقالوا :

ان انبساط الدم بسبب الغضب في الجسم يكون خروجا من القلب ورجوعا إلى القلب باختلاف متعلق الغضب .. فاذا كان الغضب متعلقه في موقف أضعف من موقف الغضب .. يعنى لو غضب العالي على الداني غضب القوي على الضعيف فان الوجه في هذه الحالة يكون أحمر .. لماذا ؟!

لأن النفس تتوجه إلى الانتقام وتعلم أنها آمنة من آثار ذلك الانتقام فيحمر الوجه .. واما اذا تعلقت القوة الغضبية من الداني بالعالي فهنا تتوجه النفس الى الانتقام مع شعورها بالعجز ، ومع شعورها بالخوف من نتائج ذلك الانتقام فتتغير طريقة حركة الدم فبدلا من الانبساط يحدث انقباض ، والانقباض يحدث صفرة في الوجه .. العلماء هكذا يقولون والله هو العالم .. لأن هذا الأمر يحتاج الى أبحاث بيلوجية أكثر منها أبحاث خلقية... وتارة يكون المتعلق مساو للغاضب فتكون النفس غير مطمئنة للآثار من حيث السلامة في حالة الانتقام ومن حيث عدم السلامة المترددة في تقدير القوة ، فيصيب الانسان ما يشبه «الافكل» يعنى الرعدة ويتبدل من حمرة الى صفرة ومن صفرة الى الى السواد وغير ذلك !!

على أى حال أن الغضب اذا خرج من حد الاعتدال فهو مذموم في الشرع قبيح في العقل .. والنبى «ﷺ» يفهم من حديثه ان ثلاثا لا يلام الانسان اذا غضب فيها وما عدا هذه الثلاث يلام اذا غضب بسببها .. يقول «ص» : [من أصبح وهو مخلى السرب صحيح البدن وله قوت يوم فقد حيزت له الدنيا] .

مخلى السرب : يعنى طليق غير سجين .

صحيح البدن : واضح .

له قوت يومه : له ما يقتيه ذلك اليوم .

يقول بما معناه : ان الدنيا تحتاج الى ثلاث ضرورات ..

الامان والطعام والصحة ومتى ما توفرت للشخص فلا معنى لأن يغضب أبدا .. لماذا ؟

لان كل ضرورات الحياة أو كل ما يحتاجه الانسان في الحياة قد حصل له هكذا فهم هذه الرواية .

[من أصبح وهو مخلى السرب صحيح البدن وله قوت يومه فقد حيزت له الدنيا] .. وهذا ناظر الى أن الاسباب الحقيقية للغضب انما هو الفخر والاعتداد بالنفس وطبعا الفخر يأتى من أين ؟ من الزهو !

والزهو يأتى من أين ؟

من حب المال والجاه والسمعة وطبعا حب المال والجاه والسمعة ليست من ضروريات الحياة ، حتى يتناحر الناس عليها أو حتى يتحاسدون أو حتى يتغاضبون .. ولذلك قال «ص» أنه متى ما توفرت هذه الضرورات الثلاث وهى الامن - الغذاء - الصحة فلا معنى للغضب مطلقا !!

فالقوة الغضبية ربما يقال أن المؤمن لا يغضب على شيء أبدا حتى لو تعلق ذلك بأحد الاسباب الثلاثة وانما يتألم دون أن يغضب .. كيف ؟

قالوا : وهذا القول «للغزالي» :

يقول : ان المؤمن لا يغضب لكنه يتألم حتى لو تعلق غضبه بأحد الموارد الثلاثة التى هى القوت أو الامن أو الصحة» .

ومثال ذلك الذى يسوقه «الغزالى» .

يقول : كالمؤمن الذى تكون له عنزة يكون قوته منها فتموت .. هذا الانسان لا يغضب لانه لا يمكن أن يغضب على الله سبحانه وتعالى وانما يتألم لفقدان قوته وكذلك اذا كان توحيده تام التوحيد بحيث لا ينظر في الوجود الا الله وان كل الاسباب تعود الى الله .. فحتى لو كان الغضب له واسطة مباشرة غير الله سبحانه وتعالى بان يكون جاء شخص فقتل تلك العنزة أو جاء شخص وأخذ قوته ذلك اليوم أو غير ذلك لا يغضب لانه يعلم أن السبب الحقيقي يعود الى الله وهو يحب الله ولا يغضب على الله .. هكذا قال ..

والحقيقة لا نقول ان هذا مستحيل وانما نقول ممكن ولكن في لحظات آنية لا تتعدى أجزاء من الثانية ثم يعود فكر الانسان فينظر الى الوسائط .. فاذا نظر إلى الوسائط يصيبه الغضب .. لان تذكر الوسائط ينسى السبب الحقيقي المقدر لذلك الشيء فيغضب على الواسطة كالذى يغضب على آنية الطبخ مثلا .. وهو يعلم في حاله تعقله أن آنية الطبخ لا يمكنها أن تفعل شيئا وانما بسبب وجود بعض الأسباب الاخرى التى لم يزلها هو وأن تعطلها عن أداء وظيفتها يعود بالدرجة الأولى اليه لانه لم يصلحها ومع ذلك ينسى نفسه وانه السبب في تعطلها فيغضب عليها .. كذلك حتى لو قلنا بان الايمان الكامل يقود صاحبه الى أن لا ينظر سببا في الوجود الا الله سبحانه وتعالى .. نقول : في لحظات وجيزة جدا من سيطرة الايمان على القلب يكون هذا ممكنا ولكن هذه لحظات تمر بالانسان المؤمن وليس ان

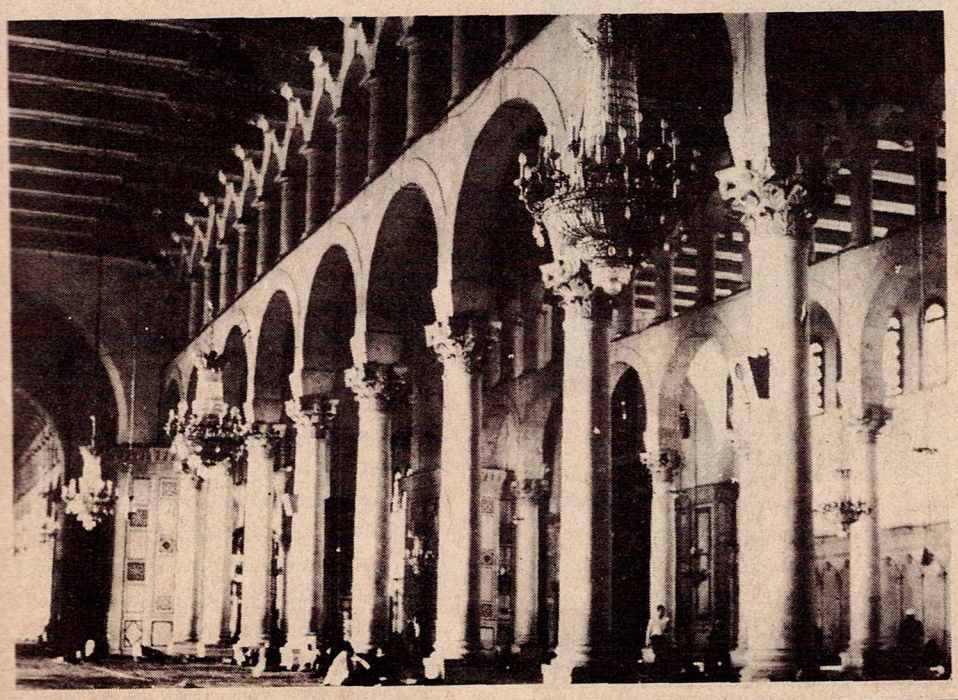

# متى توفرت الضرورات الثلاث

## وهى الأمن ـ الغذاء ـ الصحة ـ فلا معنى للغضب اطلاقا

الانسان المؤمن يعيشها طول حياته والا لما وجد بين المسلمين أو بين المؤمنين سبب يدعو الى التغاضب بينهم .. فكل انسان لا يرى فى الوجود الا الله وبالتالى لا يحسد أحدا لا يحقد على أحد لا يفاخر أحدا لا يتمنى ما عند أحد الى غير ذلك .. هذه لحظات آنية من الايمان تمر بالمؤمن .. هذا ممكن ولكن فى الحالات العامة التى يبتلى بها المؤمنون .. فى الحقيقة انما ينظرون إلى الوسائط .. زيد من الناس هو الذى تسبب ان يفوتني هذا الشىء فينصب غضبى عليه وقضية تقدير الله سبحانه وتعالى .. القضاء والقدر فى تلك الحالة لا يرد الى ذهنه طيلة الوقت حتى يردعنى من أن أغضب على زيد أو عمرو أو عن أحسد زيدا أو عمروا .. فاذن هذا ممكن أن يحصل فى لحظات .. لكنه ليس علاجا دائما بان نقول بان المؤمن لا يغضب .. فكيف يكون المؤمن لا يغضب وقد خلق فيه الغضب جبلّة ؟ وكيف لا يغضب المؤمن وانما يتألم والانبياء يغضبون ؟ وهذا سيدهم «ص» يغضب حتى تحمر وجنتاه كما فى بعض الروايات .. ولكنه لا يقول الا الحق ولا يفعل الا الحق ولا يغضب الا الله أيضا بخلاف سائر البشر يغضبون ولا يكون غضبهم كله لله «سبحانه وتعالى» .

قضية عمر بن ود وأمير المؤمنين «ع» عندما بصق عليه وعندما شتمه غضب ، ولكن باعتباره معصوم لا يغضب الا لله قام عنه وتركه حتى هدأ غضبه ثم عاد إليه فقيل له فقال : «كنت قد غضبت فخشيت ان أصيبه أو أن أقتله ويكون فى نفسى أو يكون فى قتله لنفسي شىء وانما أردت أن يكون قتله لله (سبحانه وتعالى)» . طبعا هذا لانه رجل معصوم .. ولكن ليس كل الناس معصومون حتى نقدرهم بهذا التقدير ، فالمؤمن اذن لا يتألم فقط ولكنه يغضب ولذلك عليه أن يجاهد نفسه فى قضية ان لا يخرج به الغضب عن الحد البعيد للاعتدال ـ لا نقول لا يخرج به عن الاعتدال لانه لا يستطيع أن يقدر موضع الاعتدال ، فهى كما ذكرنا أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وانما لا يبتعد كثيرا عن حد الاعتدال سواء فى حالة الافراط أو حالة التفريط .. كذلك المؤمن ينبغى له الوقار ـ الهدوء ـ السكينة ، وغير ذلك .. لكن أيضا لو خرج به ذلك عن حد الاعتدال بحيث ذهبت والعياذ بالله غيرته على الحريم ذهبت غيرته على الدين ، على المنكر .. لا يؤثر فى قلبه ما يراه حتى لا يحزن ولا يتضجر ، ان هذا فى الحقيقة خروج بعيد عن حد الاعتدال وأيضا مذموم .. كما ان الخروج الى حد التهور مذموم . فان الخروج الى حد الخور أو إلى حد ما يسمى فى اللغة «بالتخنث» أيضا مذموم .. فكلا الطرفين الافراط والتفريط مذموم والاعتدال غير مقدور عليه لسائر البشر وانما عليهم أن يجاهدوا أنفسهم أن يكونوا قريبين من حد الاعتدال .. وبطبيعة الحال أن أى مرض لا يحسم الا بحسم أسبابه ـ يعنى العلاج الحقيقى للمرض ليس بالمسكنات ولا المهدئات وانما بازالة أسبابه والا فمادامت أسبابه موجودة .. المهدئات تذهب آلامه فى وقت ما وبمجرد انتهاء فترتها تعود كالذى يصاب بألم الاسنان فمادام المهدىء له آثار فى الجسم لا يحس بألم السن وبمجرد أن يزول اثر المهدىء يعود الى الاحساس بذلك الألم .. كذلك مساوىء الأمراض الخلقية لها أسباب مثلا أسباب الغضب ما هى .

التفاخر والزهو .. واذا استطاع أن يحارب فى نفسه التفاخر عن طريق النظر الى ما عند الله «سبحانه وتعالى» .. يسلم من سبب من أسباب المرض .. واذا استطاع أن يحارب فى نفسه الزهو عن طريق التواضع لله سبحانه وتعالى فهذا يسلم من السبب الثانى .. واذا كان لا يتمكن على ذلك يتمكن على أن يشغل نفسه بشىء أهم .. كيف ؟

طبعا الانسان اذا أصابته الآلام المتعددة فان الألم الأشد يزيل من شعوره الألم الأقل وذلك مما ضربناه من مثل سابق عن ألم الشوكة ولدغة العقرب فان الانسان بعد اصابته بلسعة العقرب ينسى ألم الشوكة التى أصابته فاذا شغل نفسه بالتفكير فى عذاب الآخرة وما فيه من الآلام ينسى آلام الزهو والفخر التى تصيبه فى الدنيا والتى تسبب له الحسد ـ المنافسة ـ التضارب وذلك مثلما روى عن سلمان الفارسى «رضى الله عنه» ان رجلا شتمه .. فقال له : ان اجتزت على الصراط يوم القيامة فلا أبالى بما تقول ولا يضرنى ما تقول وان لم اجتز على الصراط فأنا أكثر مما تقول ـ طبعا سلمان الفارسى ليس فاقد القوة الغضبية ولكن انشغاله بالآخرة يجعل ما يصيبه فى الدنيا فى غير موضع عناية منه .. وهذا طريق من العلاج ..

المواعظ أيضا ـ قراءة المواعظ ـ سماع المواعظ .. والاتعاظ بعباد الله الصالحين وما أصابهم فى الدنيا أيضا طريق لمحاربة اسباب هذه القوة أو أسباب التهور وليس أسباب هذه القوة لأن ليس المطلوب انعدامها وليس المطلوب زوالها ـ الله «سبحانه وتعالى» يمدح فى القرآن يقول : «الكاظمين الغيظ» لا يقول والعادمين الغيظ فاذن لا نسير على نظرية الغزالى ومن استسلفها منه من بعض من كتب فى الاخلاق من الشيعة لان المقصود ليس انعدام القوة الغضبية وانما المقصود اعتدال القوة الغضبية لان انعدامها نقص تماما لو أن الله خلق انسانا لا يخرج له شعرا البتة الا نقول انه انسان ناقص الخلقة .. كذلك لو خلق الله انسانا منعدما لهذه الجدوى التى هى القوة الغضبية هذا يكون ذليلا خاسئا ، نذلا حقيرا لا يدافع عن نفسه ويرضى بكل صغار وذل وهين وأقول ناقص الخلقة لأنها موجودة جبلة فليس المقصود انعدامها وانما المقصود مجاهده النفس فى جعل هذه القوة خادمة للعقل وخادمة للدين بحيث تلتزم بالاحكام الشرعية وتلتزم بالفطرة التى فطر الله الناس عليها فلا تأتى بالافعال القبيحة .